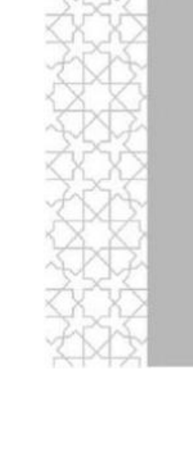
الأوبئة في العصر المملوكي
"الطاعون العظيم عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، نموذجاً"



د. عائشة حسن أحمد قيســــي

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز



الأوبئة في العصر المملوكي "الطاعون العظيم عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، نموذجاً"

د. عائشة حسن أحمد قيســـــي

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

تاريخ تقديم البحث: ٢/ ٩/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢١/ ٣/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الطاعون العظيم الذي انتشر في بلاد الشام ومصر عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م في عهد السلطان الأشرف برسباي، وهو من أعظم الطواعين التي ظهرت خلال العصر المملوكي، وقد بدأ في بلاد الشام، وسرعان ما وصل إلى مصر، حاصداً العديد من الأرواح من جميع فئات المجتمع من سلاطين مخلوعين وأبنائهم، وخلفاء عباسيين، وكبار موظفي الدولة، وشخصيات منفية خارج القاهرة، ووصولاً إلى الطبقات الدنيا.

ومن خلال هذا البحث سيتم وصف المرض وطبيعته، وفترة حضانته، وتحديد الفئات الاجتماعية الأكثر عرضة للإصابة به، ومعرفة أسباب انتشاره الواسع في الشام ومصر، وهل كان للاختلاط والتنفس واللمس المباشر والدخول إلى المناطق الموبوءة دورٌ في انتشاره؟ وهل أسهمت طقوس الجنائز والدفن في سرعة تفشيه؟ وما هي طقوس الجنائز والدفن التي طبقت زمن تفشي الوباء؟ وهل تختلف عن الطقوس المتعارف عليها؟

كذلك يهدف البحث إلى معرفة دور السلطة المملوكية في مواجهة هذا الطاعون، ومحاولة تتبع المشكلات التي واجهتها زمن ظهور المرض، وتتبع دور المؤسسات الاجتماعية والدينية في أثناء الأزمة، وذلك من خلال البحث في كتب التراجم، فضلاً عن المصادر التاريخية المختلفة.

وأخيرًا فقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المادة من مصادرها الأولية، ثم تحليلها للوصول إلى استنتاجات وتحليلات وفق المنهجية العلمية.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة، الأمراض، الطواعين، الأشرف برسباي، أبناء السلاطين.

Epidemics in the Mamluk era The Great Plague of 833 AH / 1429 CE as a model

Dr. Aisha Hassan Ahmad Qaysi
Department History – Faculty Arts and Humanities
King Abdelaziz university

Abstract:

This study aims to highlight a great Pestilence that spread in the Levant and Egypt in 833 AH / 1429 CE, during the ruling era of Sultan Al-Ashraf Barsbay. This plague affected all segments of society from the deposed sultans and their sons, The Abbasid caliphs, senior state officials, And the personalities of his exile outside Cairo and down to the lower classes. This disease will be described by its nature and incubation period and determining the social groups that are most vulnerable to this plague. And knowing the reasons for its widespread. And did meetings, breathing, direct touch, and entries into affected areas have a role in its spread? And did funeral and burial rites contribute to the rapid spread of disease? And what are the funeral and burial rituals that were applied during the era of the epidemic? Is it different from the customary rituals? Also, knowing the role of the Mamluk authority in facing this plague. And tracking the role of social religious institutions during the crisis.

Finally, in this thesis, I will be relied on the historical methodology based on collecting material from its primary sources and then analyzing it to reach conclusions and analyzes based on neutrality.

key words: epidemics, diseases, plagues, Sultan Al-Ashraf Barsbay, Sons of Sultans.

المقدمة:

عانت البشرية منذ القدم من أمراض وأوبئة تظهر بين الفينة والأخرى، ويعجز الأطباء عن تفسيرها أو الوقوف على أسبابها، فضلاً عن التصدي لها ومعرفة علاجها، وعادةً ما تنتشر في أزمنة وأماكن معينة، ويمتد أثرها السلبي على جميع مناحي الحياة حتى أنها قد تُهلك الحرث والنسل، وتُوقف مظاهر الحياة الاجتماعية، وما يتصل بذلك من عجز اقتصادي وعلمي وثقافي لربما استمر أثره لسنوات عدة.

ولم تكن الدولة المملوكية التي امتد حكمها قرابة القرنين من الزمان (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) بمنأى عن هذه الأوبئة، والتي تفشت في العديد من مناطق نفوذها؛ فقد عانت من أربعة وعشرين طاعوناً وقع في عهد المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)(١)، وقرابة سبعةٍ وأربعين طاعوناً في عهد المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) (٢)، تاركةً

---

١ - المماليك البحرية: هم المماليك الأتراك ويعود أصلهم في الغالب إلى القفجاق من تركستان وبلاد ما وراء النهر وآسيا الصغرى، ينسبون إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي اهتم بهم، وأجرى عليهم كل ما يحتاجونه، وأسكنهم في قلعة الروضة؛ وهو سبب تسميتهم بالبحرية، وقد استطاع هؤلاء المماليك الوصول إلى سدة الحكم بعد مقتل آخر سلاطين بني أيوب عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، واستمروا في الحكم إلى عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ /١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، ط٤، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ق١، ص٢٦٩.

٢ - المماليك الجراكسة: هم من الشركس الذين تواجدوا في منطقة شمال أرمينيا، وقد استقدمهم المنصور قلاوون بكثرة، وأسكنهم في أبراج القلعة، واهتم بهم وغيّر من هيئاتهم ليميزهم عن المماليك البحرية،

وراءها أعدادًا من الموتى، والكثير من الفقراء والمتضررين، وناشرةً الذعر والخوف في أنحائها، مع امتداد تأثيرها على مختلف جوانب الحياة.

ومن خلال هذا البحث سأتناول دراسة الطاعون العظيم عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، والذي انتشر في عهد المماليك الجراكسة في أثناء سلطنة الأشرف برسباي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م)[1] وعمّ أغلبَ ممتلكات الدولة المملوكية في الشام ومصر، بل وخارج حدودها، وحصد العديد من الأرواح من جميع فئات المجتمع.

وقد اخترت **المنهج التاريخ الوصفي** في استقصاء الروايات من مصادرها الأصلية، ثم تحليلها للوصول إلى معلومات وافية عن هذا الوباء، وتتبع تأثيره على جميع جوانب الحياة.

ويهدف هذا البحث إلى:

أسس المماليك دولتهم على يد السلطان الظاهر برقوق عام ٧٨٤هـ/١٣٨١م، وقد استمر حكمهم إلى سقوط دولة المماليك عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، مراجعة: محمد مصطفى زيادة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٧، ص٢٩٢ ؛ عاشور، عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص ١٦٧.

١ – الأشرف برسباي: هو السلطان المملوكي الأشرف برسباي تولى السلطنة عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م، ويعد من أعظم سلاطين المماليك الجراكسة، وقد حقق انتصاراً عظيماً بضم جزيرة قبرص عام ٨٣١هـ/١٤٢٣م، وكانت وفاته عام ٨٤١هـ /١٤٣٧م. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٣، ص٨.

- معرفة طبيعة هذا الوباء.
- حصر المناطق التي ظهر بها.
- تتبع أسباب انتشاره الكبير في عدة مناطق.
- حصر المشكلات التي واجهتها السلطة المملوكية خلال زمن انتشار الطاعون، وأهمها: تسجيل عدد الوفيات، وتوفير أكفان وتوابيت لهم.
- تتبع دور المؤسسات الاجتماعية والدينية في أثناء الأزمة.

وقد تم الاعتماد على مصادر ومراجع متعددة تناولت الطاعون العظيم في العصر المملوكي، ولعلّ من أهم تلك المصادر: مؤلفات تقي الدين محمد **المقريزي** (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) أهمها: "**السلوك لمعرفة دول الملوك**" وكتابه "**درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**".

ويُعدّ المقريزي أحد الشهود المعاصرين لهذا الطاعون والذي وصفه بقوله: "فكان هذا من الأهوال التي أدركناها"[١]، وقد أورد معلومات أولية عن الوباء تضمنت: وصف الطاعون، وعرضًا لأحوال العامة، والكثير من مظاهر الآثار السلبية التي تفشت في زمنه.

كما استفدت من مؤلفات ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وكان أهمها: "**إنباء الغمر بأنباء العمر**"، وكتابه: "**بذل الماعون في فضل الطاعون**"، واللذان يُعدَّان من المصادر المهمة التي أرّخت للعصر المملوكي، وتضمنت الكثير

---

١ - المقريزي ، تقي الدين محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م)، ج٧، ص ٢٠٨.

من التفاصيل والتفسيرات والتحليلات الخاصة بهذا الوباء، والتي أفدتُ منها في هذا البحث.

أما ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) فاستخدم كتابه في الحوليات: "**النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة**" وهو من أهم المراجع التي وفرت معلومات قيمة عن الطاعون العظيم؛ وذلك لأنّ الطاعون قد تسبب بفقده بعض أفراد أسرته؛ ولذلك حوى وصف الطاعون معلومات ثرية ومشاعر صادقة عن أحوال الناس ووضعهم في أثناء الوباء.

ومن الدراسات الحديثة:

١) "**الأوبئة (الطواعين) وآثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة**" لمبارك محمد الطراونة. الأردن: المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م٤، ع٣، ٢٠١٠م. عرض فيها الباحث بشكل سريع الطاعون العظيم وحدد المدن الشامية التي انتشر بها؛ كدمشق، وحمص، وحماة والقدس، وغيرها، ثم فسّر سبب انتشار الوباء بين فئة الأطفال والعبيد والتي استفدت منها في ثنايا هذا البحث.

٢) "**جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي** -تفسير جديد" لفتحي سالم اللهيبي، وفائز الحديدي. د.م، د.ن، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. تناول الكتاب طاعون عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، وتفشيه في المدن المصرية، والأضرار التي لحقت بالبشر والحيوانات على حدّ سواء.

٣) "**الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي**"، ليوسف درويش غوانمة، جامعة دمشق: مجلة

دراسات تاريخية، ١٩٨٣م. عرض فيه للمناطق التي تفشى بها الطاعون في بلاد الشام، وتناول العديد من الآثار السلبية عن الطواعين التي انتشرت في بلاد الشام خلال العصر المملوكي.

وهذه الدراسات رغم أهميتها إلا أنها لم تتناول الطاعون العظيم بشكل منفرد، كما أهملت بعض الجوانب المهمة المتعلقة به، مثل: الحديث عن فئة أبناء الأسياد الذين تأثروا بهذا الوباء، كما لم يتم تتبع المشكلات التي ظهرت خلال انتشار الطاعون، وتحليل أسباب إخفاق المماليك في علاجها، ولعلّ هذه الدراسة تسهم في سدّ جزء من هذه الفجوة حول هذا الموضوع.

وعلى ضوء المادة العلمية المستقاة من المصادر قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث: **المبحث الأول**: وصف الوباء وطبيعته. و**المبحث الثاني**: أسباب انتشاره الواسع في الشام ومصر. و**المبحث الثالث**: دور المؤسسات الاجتماعية والسياسية في مواجهة الأوبئة، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: وصف الوباء وطبيعته:

أولا: تعريف الطاعون:

أ– في اللغة: هو الموت من الوباء، والجمع طواعين[١]، وهو الوباء الذي يفسد له الهواء؛ فتفسد له الأمزجة والأبدان[٢].

ب– **المعنى الاصطلاحي**: تعددت التعريفات التي تناولت لفظ الطاعون، وجاء الاختلاف وفقاً للأعراض التي ميزت كل طاعون عن الآخر، ولكن في المجمل يعرّف بأنّه مرض وبائي مُعْدٍ ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات القارضة؛ كالجرذان، ويصيب الغدد اللمفاوية، وخاصة غدد الفخذ، وتحت الإبط، والأذن[٣].

كما عرّف أيضًا: بأنّه داء وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى، ومنها إلى الإنسان[٤].

---

١ – الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص١٦٥.

٢ – ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١٣، ص٢٦٧.

٣ – غوانمة، يوسف درويش، الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، جامعة دمشق: مجلة دراسات تاريخية، ١٩٨٣م، ص٧٤.

٤ – مصطفى، إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط** (تركيا: المكتبة الإسلامية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج٢، ص٥٥٨. وللمزيد من المعلومات عن الفرق بين الوباء والطاعون انظر طراونة، مبارك محمد، الأوبئة (الطواعين) وآثارها =الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ، الأردن: المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م٤، ع٣، ٢٠١٠م، ص٤٧ .

ثانيًا: وصف الطاعون:

الطاعون -الذي تناوله البحث بالدراسة- وصفه المقريزي بأنّه: نزلات تنحدر من الدماغ إلى الصدر، ويموت فيه الشخص المصاب في أقلّ من ساعة بدون أعراض سابقة، وإذا مات الشخص يتغير ريحه سريعاً رغم شدة البرد[١].

وقد وقع هذا الطاعون في فصل شتاء عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، وعُدّ ذلك من النوادر؛ فلم يعهد وقوع الطاعون إلا في فصل الربيع، وعلل الحكماء ذلك بأنّ سيلان الأخلاط في فصل الربيع وجمودها في الشتاء كان السبب في انتشاره[٢].

كما أضاف ابن حجر العسقلاني أنّ مَن مات بهذا الوباء يكون في كامل إدراكه مخالفاً بذلك أغلب الطواعين: "فيتحسر على نفسه ويوقن بالموت، ولا يستطيع لنفسه نفعاً، ولا يستطيع أحد من أحبائه عنه دفعاً"[٣]، وقد انفرد المؤرخ ابن حجر بهذا الوصف للمصاب وكأنّه يصف حالة عاينها وأدرك معاناتها.

---

١ - السلوك، ج٧، ص٢٠٥- ٢٠٦.

٢ - النجوم الزاهرة ، ج١٤، ص٣٣٨.

٣ - **بذل الماعون في فضل الطاعون**، تحقيق: أحمد عصام الكاتب (الرياض: دار العاصمة، د.ت)، ص٣٦٩.

المبحث الثاني: أسباب انتشار الطاعون:

انتشر هذا الوباء في عدة مناطق داخل حدود الدولة المملوكية وخارجها، وسمي بالطاعون العظيم والفصل الكبير لشدته[١]، وقد استمر قرابة العام في بعض مدن الشام[٢]؛ ابتدأ ظهوره بها في منتصف شهر شعبان من عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، ثم زادت حدته في شهر صفر من العام ٨٣٣هـ /١٤٢٩م[٣].

أما مصر فقد وصلها الطاعون من الشام وانتشر في المدن الكبرى والنائية على السواء[٤]، واستمر بها أربعة أشهر ابتداءً من شهر ربيع الآخر إلى منتصف شهر رجب من عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م[٥]، والطواعين تتفشى غالباً بشكل سريع

---

١ – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، ج٢، ص٣٠٩ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٨.

٢ – تفشى الطاعون بالشام في عدة مناطق؛ في كلٍّ من دمشق، والقدس، وحمص وصفد، وغزة، والرملة. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **إنباء الغمر بأنباء العمر** (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج٣، ص٤٣٥، ٤٤١ ؛ غوانمة، يوسف درويش، **تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي** (الأردن: دار الحياة، ١٩٨٢م)، ص١١٨.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٩٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٧.

٤ – تفشى الطاعون في مصر في كلٍّ من القاهرة، والفسطاط، والوجه البحري في منطقتي النحريرية ودمنهور، والإسكندرية، ودمياط، والصعيد، والفيوم، وبولاق. المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٨.

٥ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٨.

بين القرى والمدن، وتتكرر الأسباب عينها التي تساعد على ذلك عبر العصور المتتابعة مع اختلاف التعامل معها والتصدي لها.

ويظهر مما سبق تفشي الطاعون العظيم عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م بشكل واسع في مصر والشام، وفي مدة قصيرة؛ ويبدو أنّ هناك العديد من الأسباب التي أسهمت في انتشاره، منها:

المخالطة: والتي أُثبتت من خلال عدة وقائع وردت في المصادر توضح ذلك، ورغم المبالغة في بعض جوانبها لكنها تؤكد على دور التجمعات في انتشار الوباء؛ فقد ورد أنّ ثمانية عشر رجلاً من صيادي السمك كانوا في موضع واحد، مات منهم في يوم واحد أربعة عشر، وقام الأربعة ليجهزوهم للدفن فمات ثلاثة منهم وهم مشاة، ثم مات الأخير بعد أن وصل إلى المقبرة[١].

وعندما ركب أربعون رجلاً في مركب واحد وخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ماتوا جميعهم قبل وصولهم إلى مدينة الميمون المتجهين إليها[٢].

كذلك وقع اجتماع بين العامة ورجال الدين في منطقة صحراوية لتذكير الناس ووعظهم "ثم انفضوا فتزايد عدد الأموات في هذا اليوم كما كان في أمسه"[٣].

---

١ – ابن تغري بردي، المرجع السابق، ج١٤، ص٣٣٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٩.

٢ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٩. ومدينة الميمون: قرية عظيمة في الصعيد قرب الفسطاط غربي النيل. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج٥، ص٢٤٥.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٣٨.

وكان للتجمعات في مكان واحد أو بقعة محددة تأثيره الواضح في تفشي المرض وانتشاره؛ فقد أصيب داخل خانقاة سرياقوس[١] بمصر أعداد كبيرة، وقدّرت الإصابات في اليوم الواحد بنحو مائتي نسمة[٢].

ومما يؤكد -أيضاً- أنّ عامل الاختلاط كان عنصراً مهمًّا في تفشي هذا الوباء؛ انتشاره بين مماليك السلطان الأشرف برسباي من سكان القلعة بالقاهرة، بحيث كان يصيب منهم حوالي أربعمائة وخمسين، ويموت منهم أزيد من خمسين مملوكاً يوميًّا[٣].

وهناك حادثة أخرى تؤكد ما ذُكر سابقاً حول تفشي الوباء عن طريق الاختلاط؛ عندما أصدر السلطان الأشرف برسباي أوامره بخروج "**أبناء الأسياد**" من القلعة، وأن ينزلوا إلى المدينة ويسكنوا بها في عام ٨٣٣هـ /١٤٢٩م، -وهم أبناء السلاطين الذين لم يتسلموا الحكم، أو خُلعوا وبقوا

---

١ – الخانقاه: كلمة فارسية وتعني مكاناً للتعبد والتزهد والبعد عن الناس، وبمعنى بيت أيضاً، دخلت هذه الكلمة العربية منذ انتشر التصوف؛ فهي كالدير في النصرانية. دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٦٦.

وسرياقوس: من مدن مصر تقع في نواحي القاهرة، بنى بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون قصوراً جليلة وعدة منازل للأمراء، وغرس فيها بساتين، ونقل إليها من دمشق عدة أصناف من أشجار الفواكه، وكان يقيم بها عدة أيام خلال السنة. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٨؛ المقريزي، تقي الدين أحمد (٨٤٥هـ /١٤٤١م)، **الخطط والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٣٠.

٢ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٩.

٣ – المقريزي، المرجع السابق، ج٧، ص٢٠٦.

داخل القلعة، وكوّنوا سلالة خاصة بهم، وهم في الغالب من ذرية السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت٧٤١هـ /١٣٤١م)[١].

ولم تذكر المصادر معلومات وافية عن الأسباب والدوافع التي أجبرت الأشرف برسباي على اتخاذ هذا القرار، وتم الاكتفاء بالثناء على السلطان، ووصف عمله بأنّه "سنة حسنة"[٢]، كما وُصف في دراسة حديثة بالشجاعة، وكان "غير ناظر إلى عواقب ذلك مما يخشاه أسلافه"[٣]، ورغم ما ذكر من أقوال إلا أنها لم تفسر أسباب إخراجهم ودوافعه، وإن كان الظاهر أنّ إخراجهم كان بسبب الطاعون الذي انتشر في هذا العام، وذلك وفق أسباب ودوافع متعددة، منها:

أولاً: وجود إصابات بالطاعون لأبناء الأسياد داخل القلعة، وقد جاءت أوامر خروجهم منها بعد وفاة السلطان المخلوع والمقيم داخل القلعة الصالح

---

١ – ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١، صباغ، عباس وحسان حلاق، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية** (بيروت: دار القلم للملاين، ١٩٩٩م)، ص٢١٠.

والسلطان الناصر محمد بن قلاوون: ابن السلطان المنصور قلاوون، وأمه آشلون خاتون، تاسع ملوك الترك، بويع له بالسلطنة بعد مقتل أخيه عام ٦٩٣هـ/٦٩٤م، تولى السلطنة ثلاث مرات، وظل في سلطنته الثالثة إلى وفاته عام ٧٤١هـ /١٣٤٠م، ويعتبر من أعظم سلاطين المماليك. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٨٣؛ ج٣، ص٣٠١.

٢ – ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط ابن شاهين (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)، **زبدة الممالك وبيان الطرق والمسالك**، عنى بتصحيحه: بولس راويس (باريس: المطبعة الجمهورية، د.ت)، ص٩٣.

٣ – الشرقاوي، مديحة، **برسباي وسياسته الداخلية والخارجية** (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م)، ص٤٥.

محمد بن الملك الظاهر ططر[1] بالطاعون في ٢٧ جمادى الآخر، وفي ذلك يقول ابن إياس: "فلما مات الملك الصالح، رسم السلطان لأولاد الأسياد الذين كانوا بالقلعة، داخل دور الحريم بأن ينزلوا إلى المدينة ويسكنوا بها"[2]؛ ومعنى ذلك أنّ خروجهم جاء بعد تفشي الوباء داخل القلعة.

ثانياً: شكلت هذه الفئة عبئًا على الدولة؛ فقد كانت لهم مخصصات مالية، وإقطاعات ومعاصر لقصب السكر في بلاد الصعيد، وخدم وطواشية[3] لتربيتهم، ومماليك تحت خدمتهم، ومباشرين[4] ولكل كبير من الأسياد ديوان مفرد، وبناء على ذلك ونتيجة الظروف الاقتصادية المحيطة بالدولة منذ ظهور الطاعون أخرجوا من القلعة للتخفيف من بعض المصروفات المادية المخصصة لهم[5].

١ – محمد بن الظاهر ططر: أبو السعادات، تسلطن بعد وفاة أبيه عام ٨٢٤هـ /١٤٢١م، ثم خلع عام ٨٢٥هـ /١٤٢٢م؛ فحكم قرابة الأربعة أشهر. ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الملطي (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)، **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، تحقيق: محمد كمال الدين علي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٣٠.

٢ – ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١.

٣ – الطواشية: هم الخدم الخصيان الذين استخدموا في الطباق السلطاني، كذلك في قسم الحريم في القصر السلطاني، وكانت لهم حرمة وكلمة نافذة، ويرأسهم شيخ =كان يطلق عليه شيخ الطواشية ويعتبر من أعيان الناس. حلاق، المعجم الجامع، ص١٤٧.

٤ – المباشر: هو موظف إداري يقوم بتنظيم حساب ريع الأوقاف وترتيبه وكتابته متخلصة ومصروفه في سنة. حلاق، المعجم الجامع، ص١٩٨.

٥ – المقريزي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، حققه وعلق عليه: محمود الجليلي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٥٧٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١.

ثالثاً: لم تعد لدى هذه الفئة من أسرة قلاوون قوة يعتد بها نتيجة فقدان بعض الشخصيات البارزة منهم والتي كانت تشكل ثقلاً اجتماعيًّا بارزاً، وكان آخرهم الأمير جانبك بن حسين بن محمد بن قلاوون(١) والتي وافته المنية عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م؛ مما أثر سلباً على مركزهم داخل القلعة، وفي ذلك يقول المقريزي: "فانهد لبني قلاوون بموته ركن كانوا يأوون إليه ويلجأون إليه"(٢)، وبذلك ساهم ضعف من تبقى من ذرية قلاوون في إقدام السلطان على اتخاذ هذا القرار بدون معارض أو مخالف.

رابعاً: خروج هذه الفئة مر بمرحلتين: الأولى: أثناء انتشار هذا الوباء عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، والمرحلة الثانية: كانت في عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، بعد خروج السلطان على رأس حملة متوجهًا إلى آمد(٣) حيث أخرج من تبقى منهم نهائياً(٤)؛ مما يؤكد أنّ خروجهم في كلتا الحالتين كان لدوافع وأسباب، وإن

---

١ – الأمير جانبك بن حسين بن محمد بن قلاوون: سيف الدين، عين في الطبلخاناه في سلطنة أخيه الأشرف شعبان، ولما زالت دولة آل قلاوون استقر داخل القلعة مع أهل بيته، وكانت عدتهم ستمائة نفس، ولم يكن منهم يومئذ أقعد نسباً من جانبك، كانت وفاته عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م، وقد تجاوز السبعين. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٠٩.

٢ – درر العقود، ج١، ص٥٧٣.

٣ – آمد: مدينة قديمة حصينة من ديار بكر، فتحت عام ٢٠هـ/٦٤٠م، على يد عياض بن غنيم. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٦.

٤ – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٧٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١ .

صرحت المصادر بذكر الدوافع في المرحلة الثانية، وأغفلت ذكرها صراحة في المرحلة الأولى[١].

وبناء على كل ما تقدم انتهى المطاف "بأبناء الأسياد" خارج القلعة، وساهم ظهور الطاعون وتفشيه في ذلك، ثم توقف ذكرهم مدى الدهر وانقضت تلك السنون وأهلها.

أما مراسم الجنائز والدفن: فقد كانت من أسباب انتشاره؛ فقد كان يُصلى على أربعين ميتاً معاً؛ فما تنقضي الصلاة عليهم حتى يصاب غيرهم[٢].

كذلك ذُكر أنّ امرأة قدمت تريد دخول القاهرة وهي تتنقل بدابتها، فماتت وهي راكبة، وأصبحت ملقاة بالطريق يوماً كاملاً حتى بدأ يتغير ريحها، ثم دفنت دون معرفة هويتها أو أهلها[٣]. ومثل ذلك يكون سبباً لانتقال العدوى وانتشارها بشكل واسع.

وقد يتبادر إلى الذهن أنّ انتشار الوباء كان عن طريق التنفس والهواء استناداً للحادثة السابقة، لكن المؤرخ ابن حجر العسقلاني في كتابه "بذل الماعون"

---

١ – ابن تغري بردي، المرجع السابق، ج١٤، ص٣٧٣، ابن شاهين، زبدة كشف المماليك، ص٩٣ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١.

٢ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٧. اتُبعت إجراءات احترازية مختلفة في طقوس الصلاة على الجنائز داخل المملكة العربية السعودية خلال انتشار جائحة =كوفيد ١٩(COVID-19)؛ فقد منع الصلاة على الميت داخل المساجد، واقتصر الأمر على الصلاة في المقابر، كذلك تم تقنين عدد المشيعين للجنازة إلى ٥٠ شخصاً فقط. وقد ساهمت هذه الإجراءات الاحترازية في منع انتشار الوباء إلى حد كبير.

٣ – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٩.

أنكر إمكانية انتشار الوباء عن طريق الهواء، وفي ذلك يقول: "لو كان من فساد الهواء، لعم الناس والحيوانات، ونحن نجد الكثير من الناس والحيوان بصحبة الطاعون، وبجانبه من جنسه ومن يشابه مزاجه من لم يصبه"(١).

ورغم إنكار ابن حجر العسقلاني لقضية التنفس وتأثيرها على الانتشار من عدمه إلا أنّ الأظهر أنّ المرأة قد دخلت إلى القاهرة قادمة من منطقة موبوءة؛ بحثاً عن الأمان أو الدواء ولكن مصيرها سبقها إلى ذلك.

كذلك من أسباب انتشار الطاعون **اللمس**: ومما تجدر الإشارة إليه أنّ السلطة المملوكية اتبعت إجراءات صارمة **في قراءة ولمس المراسيم والأوراق** القادمة من خارج القاهرة؛ مما يؤكد أنّ لمس الأشياء القادمة من المناطق الموبوءة كانت تسهم في نقل الوباء استناداً إلى أنّ السلطان الأشرف برسباي قدم إليه كتاب من مدينة طرابلس(٢)؛ فامتنع عن لمسه وفتحه، وهو نص صريح يظهر تخوف السلطان على نفسه والقلق والشك فيما هو قادم من منطقة الشام الموبوءة، وقد تكون إجراءات احترازية داخل القلعة للحيلولة دون انتشار الوباء(٣).

١ - ص١٠٥.

٢ - طرابلس: مدينة عظيمة في الشام، تتوسط الساحل الشرقي للبحر المتوسط، معروفة بأنهارها وبساتينها، أمر السلطان المنصور قلاوون بهدمها وبنيت المدينة من جديد. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: علي المنتصر الكتاني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ)، ص٦٦.

٣ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤١.

أشهر الوفيات بالطاعون العظيم:

توفي في هذا الطاعون أعداد مهولة من البشر، بدءًا من الأطفال والإماء والعبيد والغرباء، ربما لضعف مناعة أجسام الأطفال، ولاضطرار العبيد والرقيق إلى مخالطة المصابين وتقديم المساعدة لهم[1]، ثم انتشر بين أعيان المجتمع من أمراء وكبار موظفي الدولة[2]، وأهم هذه الفئات التي فتك بها الطاعون:

٤) السلاطين المخلوعون وأبناؤهم:

أشهر من توفي من **السلاطين الصالح محمد بن ططر** الذي خلع من السلطنة عام ٨٢٥هـ /١٤٢٢م، وأقام عند السلطان الأشرف برسباي داخل القلعة معززاً مكرماً إلى أن أصابه الطاعون، وبه كانت وفاته في ٢٧ من جمادى الآخر عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م[3].

ومن أبناء السلاطين الأمير **محمد بن السلطان الأشرف برسباي**[4]، وكان قد عيّن نائباً للسلطنة ثم أصيب بالطاعون، وبه كانت وفاته يوم الثلاثاء ٢٦من

---

١ – الطراونة، الأوبئة (الطواعين) وآثارها الاجتماعية، ص٥٠.

٢ – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٩، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٥٠ ؛ ابن تغري بردي، المرجع السابق، ج١٥، ص١٦٢ ؛ الحنبلي، عبد الحي ابن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب بأخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ)، ج٩، ص٢٩٧.

٤ – محمد ابن السلطان الأشرف برسباي: كان قد عين للسلطنة بعد أبيه، مات مطعوناً وقد ناهز الاحتلام، ودفن بمدرسة أبيه. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٩.

جمادى الأول، ودفن بمدرسة أبيه وهو في سن المراهقة، وكان قد أصيب أخوه يوسف[١] قبله وتشافى، وهو الذي تولى السلطنة بعد أبيه[٢].

أما الإسكندرية فقد مات بسجنها **الأمير محمد بن السلطان الناصر فرج بن برقوق**[٣] منفيًّا بها يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخر عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، ثم نقل إلى القاهرة ودفن بها، وله من العمر واحد وعشرون ربيعاً[٤].

---

١ - يوسف بن الأشرف برسباي: ولد بقلعة الجبل عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، عهد له أبوه بالسلطنة في مرض موته عام ٨٤١هـ/١٨٣٧م، دام حكمه أقل من مائة يوم إلى خلعه الأتابك جقمق وأسكنه بقاعة البربرية من دور الحريم السلطاني، ثم نفي إلى الإسكندرية إلى وفاته عام ٨٦٨هـ/١٤٦٣م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٧.

٢ - المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٩، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٨، ٤٤٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٢.

٣ - محمد بن السلطان الناصر فرج: بن برقوق، مات مطعوناً بسجن الإسكندرية، ودفن بها ثم نقلت جثته إلى مصر. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٩.

٤ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٢. قيسي، عائشة حسن، **عقوبة النفي والإبعاد في مصر والشام والحجاز خلال العصر المملوكي** (رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص٢٢٤ .

كذلك توفي **الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ المحمدي**[١] المنفي بها أيضاً هو وأخوه إبراهيم، في آواخر شهر جمادى الأول عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، وكانا قد دفنا في الإسكندرية، ثم نقل رفاتهما في النصف من شعبان ودفنا بالقاهرة[٢].

٥) الأعيان وكبار موظفي الدولة:

من كبار الأعيان الذين قضوا نحبهم في هذا الطاعون **الخليفة العباسي المستعين** أبو الفضل العباس بن المتوكل[٣]، وقد عيّن في السلطنة بعد قتل السلطان الناصر فرج عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، وانتهى به المطاف منفيًّا بثغر الإسكندرية، وبها كانت وفاته ولم يبلغ الأربعين[٤].

أما الأمير يشبك شقيق السلطان الأشرف برسباي، والذي حضر من بلاد الجراكسة باستدعاء أخيه له؛ فقد كانت وفاته في الرابع من رجب عام

---

١ – الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ المحمدي: تولى المظفر أحمد السلطنة بعد أبيه عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م، وعمره سنة وثمانية أشهر، وسرعان ما خلع على يد السلطان ططر بعد حكم دام سبعة أشهر فقط، وبقي في دور الحريم إلى أن أصدر السلطان الأشرف برسباي مرسوماً عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م يقضي بنفي السلطان المظفر أحمد وأخيه إبراهيم إلى الإسكندرية. المقريزي، السلوك، ج٧، ص٦٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٨٣.

٢ – المقريزي، المرجع السابق، ج٧، ص٢١٧.

٣ – الخليفة العباسي المستعين: أبو الفضل العباس بن الخليفة محمد المتوكل، بويع له بالخلافة عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، ولقب بالمستعين، ثم بويع له بالسلطنة بعد خلع الناصر فرج بن برقوق وهروبه من القاهرة عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، ولكن لم تستقر الأوضاع له داخل مصر فخلع ونفي إلى الإسكندرية عام ٨١٦هـ/١٤١٣م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣٦.

٤ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٥ – ٤٤٦، ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط(ت٩٢٠هـ /١٥١٤م)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م)، ج٤، ص٢٧٤.

٨٣٣هـ/١٤٢٩م[١]. **ومن كبار السن الذين أصيبوا بهذا الطاعون: بردبك السيفي**[٢] أحد مقدمي الألوف بمصر، والذي كانت وفاته يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة كهلاً[٣]، **ويحي بن الإمام شمس الدين محمد الكرماني**، وكان ثقيل السمع، وأصيب برمد وفقد بصره، مات بالطاعون في جمادى الآخر[٤].

ومن الأشراف: أصيب **الشريف علي بن عنان بن مغامس** [٥]، وكان مقيماً في القاهرة[٦]. **وكذلك أصيب الشريف سرداح بن مقبل** بن نخبار الحسنى الينبعي[٧]، وكانت وفاته بالقاهرة وبها دفن[٨]. وأما **الشريف شهاب الدين**

---

١ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٥٣.

٢ – الأمير بردبك السيفي: من مقدمي الألوف وهو والد الزيني فرج الحاجب الأشقر. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٧.

٣ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٤، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٧.

٤ – ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، ج٣، ص٤٥٣، السخاوي، المرجع السابق، ج١٠، ص٢٣٨ ؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج٤، ص٢٧٥.

٥ – الشريف علي بن عنان: علي بن عنان بن مغامس بن أبي نُمي الحسنى المكي الشريف، تولى إمرة مكة، ثم عزل واتجه إلى الغرب ثم رجع إلى القاهرة فأقام بها ومات مسجوناً بقلعتها. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٨.

٦ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٨.

٧ – الشريف سرداح بن مقبل بن نخبار الحسنى الينبعي: تولى أبوه إمرة ينبع مدة ثم قبض عليه وحُبس بالإسكندرية عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، إلى أن مات بها وكحل ولده. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر ، ج٣ ، ص٤٤٥ .

٨ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٩؛ ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، ج٣، ص٤٤٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٤.

أحمد الحسني[1] الذي تولى ديوان الإنشاء والحسبة وكتابة السر[2] فقد أصيب بعد أن اجتمع بالأشراف بجامع الأزهر بعد اثني عشر يوماً من الاجتماع، ثم تولى أخوه كتابة السر بعده، وسرعان ما توفي هو الآخر بالطاعون، وكانت إصابته بعد صعوده إلى القلعة مباشرة، ولم يبلغ الأربعين عاماً[3].

١ – الشريف شهاب الدين أحمد الحسني: أحمد بن علي بن عدنان الحسني الدمشقي، ولد عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، بدمشق ونشأ بها مع أبيه، ترقى بعد وفاة أبيه فتولى نقابة الأشراف عوضه، ثم تولى كتابه السر في سلطنة المؤيد شيخ، وتولى القضاء بدمشق في سلطنة الأشرف برسباي، ثم تولى كتابة السر عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، وباشرها إلى وفاته في الطاعون العظيم عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٢.

٢ – كتابة السر: وظيفة اختصاصها قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، والجلوس بدار العدل لقراءة الطلبات والاستدعاءات والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث في البريد، ومشاركة الدوادار في أكثر الأمور السلطانية. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٢٧.

الحسبة: نظام إداري إسلامي يطلق بالمعنى الواسع على من يتولى المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات. والفصل الفوري بين المنازعات مما لا يدخل في نظام اختصاص القاضي. وصاحب الحسبة (المحتسب) يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتصل بالمعايش والصنائع. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٦١.

ديوان الإنشاء: كان ديوان الإنشاء أول ديوان صنع في الإسلام، لأن النبي –عليه السلام– أمر أشخاصاً ليكتبوا له الرسائل لملوك الأرض وللأمراء وأصحاب السرايا ثم الصحابة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٢٧، حلاق، المعجم الجامع، ص٧٤.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٤.

وأصيب **الأمير الطواشي فخر الدين ياقوت** الحبشي مقدم المماليك[١] يوم الاثنين ثاني رجب[2]. **أما أزبك الدودار، فقد** كان منفيًّا بطالاً[٣] في القدس وبها كانت وفاته في سادس عشر ربيع الأول[٤].

٦) **الأسرى والمسجونون:**

أصيب مجموعة من المعتقلين داخل السجن بالطاعون، وكانت وفاتهم جراء ذلك، **منهم: الأمير هابيل بن قرايلك**[٥] الذي قبض عليه ومعه جماعة بعد خروج الجيش المصري في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م إلى الرُّها[6]، وأخربوا المدينة بعد أن ملكوها، ووقع بينهم وبين قرايلك وقعة عظيمة هزم فيها الأخير، وقبض على ابنه هابيل وتسعة من أمرائه، وقتل عدد كبير من جيشهم، وأرسل قابيل إلى القاهرة وسجن بقلعتها، وخلال فترة اعتقاله أرسل والده إلى السلطان يطلب

---

١ – مقدم المماليك: هو الذي يتولى أمر المماليك للسلطان أو الأمير عن الخدم الخصيان المعروفين بالطواشية، ومقامه فيهم مقام أمير النوبة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٤٢.

2 – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٢٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٥.

٣ – البطال: البطالون هم العاطلون من الأجناد والأمراء عن أعمال الدولة ووظائفهم وإقطاعاتهم نتيجة غضب السلطان، أو كبر السن، أو الاضطرار إلى الاعتكاف والاختفاء، أو لمجرد حب الابتعاد والانزواء، ويقال لهم: المحلولون. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٣٥.

٤ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٣.

٥ – هابيل بن قرايلك: بن قطاوبك، عيّنه والده على الرُّها ليحارب العسكر المصري ونواب البلاد الشامية، فاستعد وحصن المدينة، ولكنه هزم وأرسل إلى القاهرة وحبس بقلعتها إلى وفاته عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٩٠.

6 – الرُها : بضم الأول هي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام يقال أنها تنسب إلى الرهاء بن البلندى الكلبي. الحموي، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٠٦ .

العفو لابنه وإطلاقه عدة مرات، آخرها كان في شهر جمادى الآخر عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، ولكن السلطان الأشرف برسباي لم يستجب لطلبه، وبقي مسجوناً إلى أن أصابه الطاعون وبها كانت وفاته[١].

٧) **علماء الدين:**

من أشهر علماء الدين الذين قضوا نحبهم في هذا الطاعون: **العلامة أحمد بن محمود بن محمد القيري**[٢] بن القاضي جمال الدين المعروف **بابن العجمي**، باشر عمله في ديوان الإنشاء، ثم تولى الحسبة ونظر الجوالي[٣]، أصيب بالطاعون وكانت وفاته في شهر رجب[٤].

---

١ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٢١، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٥٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٧. ونتج عن رفض السلطان الأشرف برسباي إطلاق سراح الأمير هابيل ثم وفاته بالطاعون هجوم والده قرايلك على ملطية وماردين وحلب حتى أنه وصل إلى عين تاب وعاث فيها فساداً، وعلى إثر ذلك خرج الجيش المملوكي لتأديبه عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، ولكن هذه الحملة عادت بعد وصول أخبار عودة قرايلك إلى بلاده. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣٦.

٢ – العلامة أحمد بن محمود بن محمد القيري: ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة، اعتنى به أبوه فأقرأه القرآن والفقه والعربية والمعاني وغيرها، وأحضر له المؤدبين والمعلمين من العجم وغيرهم، كان مذكوراً بالذكاء وبرع في عدة فنون، كانت وفاته عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص١٩٧.

٣ – الجوالي: جمع جالية، وهو المال الذي يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم في بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها، وهي الجزية، وهي من أحل الحلال من الأموال؛ لذا جعلت منها أجور العلماء والمدرسين. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٦.

٤ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٢.

ومحمد بن أحمد بن سليمان الأذرعي[١] كان على المذهب الحنفي، ثم انتقل للمذهب الشافعي، وولي قضاء بعلبك[٢] وغيرها، ثم عاد حنفيًّا وناب في الحكم ودرس وأفتى، ثم توجه إلى مصر وعند وصوله أصيب بالطاعون وبه كانت وفاته في جمادى الآخرة[٣].

٨) **النساء**:

أشارت المصادر إلى وجود إصابات بين النساء بأعداد كبيرة، وإن أغفلت هذه المصادر الحديث عن أسماء هؤلاء النسوة وطبقاتهن الاجتماعية وتفاصيل عن كيفية إصابتهن، وعلى أيّة حال فأشهر هؤلاء النسوة اللاتي أصابهن الطاعون وذُكرن في المصادر: **زين الدين خاتون**: ابنة المؤرخ ابن حجر العسقلاني، ماتت بالطاعون وهي حامل، وقال عنها والدها: "بنتي وبكر أولادي، ماتت وهي حامل بالطاعون فجُمعت لها شهادتان"[٤]، و**خوند هاجر ابنة الأمير منكلي بغا الشمسي**، وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، في رابع رجب[٥].

---

١ – محمد بن أحمد بن سليمان الأذرعي: أخذ عن ابن الرضي والبدر المقدسي في مذهب الحنفية، وكان يقرئ البخاري، ويكتب على الفتوى كتابة حسنة بخط بديع. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٨.

٢ – بعلبك: مدينة قديمة بها أبنية وآثار عظيمة وقصور، بينها وبين دمشق ثلاث ليالٍ. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٣.

٣ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٨.

٤ – إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤٥.

٥ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٢٠.

ويتضح من خلال عرض وفيات الأعيان ما يلي[1]:

- ظهرت الوفيات في طبقة الأعيان في القاهرة بين تاريخ ٣ جمادى الآخر إلى شهر ١٣ رجب؛ مما يعني تأخر ظهور الطاعون بين هذه الفئة مقارنة بغيرهم من فئات المجتمع، الأمر الذي قد يرجح لجوء الأعيان لاتباع عمليات احترازية للحيلولة دون الإصابة بهذا الوباء.
- تتبعت المصادر المملوكية وفيات الأعيان داخل القاهرة والإسكندرية ودمشق، واكتفت بذكر إحصائيات الوفيات في باقي المناطق.
- ظهرت الإصابات الجماعية داخل نطاق الأسرة الواحدة عندما أصيب أبناء السلطان الأشرف برسباي، وخوند، وأمها، وغيرهم.
- لم تصرح المصادر بالإصابات بين فئة النساء ما عدا زين الدين خاتون ابنة المؤرخ ابن حجر العسقلاني، وخوند ابنة الأمير منكلي بغا الشمسي، وأمها خوند فاطمة، وهذا لا ينفي تفشي الوباء بين النساء؛ ولكن يظهر أنّ نسبة الإصابات والوفيات بين نساء الأعيان لم تكن في مستوى باقي النساء؛ كالجواري والرقيق، أو حتى نساء العامة والذي انتشر بينهنّ بأعداد كبيرة منذ بداية ظهور الوباء –كما أوضحت المصادر المملوكية–[2].

١ – انظر الملحق.

2 – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٤ ، ص٣٤٢ .

المبحث الثالث: دور المؤسسات الاجتماعية والسياسية في مواجهة الأوبئة

امتدّ الطاعون العظيم في عدة مناطق في مصر والشام، وخلّف وراءه آثـاراً سلبية على مختلف منـاحي الحياة، وظهر ذلك جليًّا في تعطيل الكثير من مظـاهر الحيـاة الاجتماعية؛ حتى أنّه نودي بالقـاهرة بمنع النّسـاء من الخروج إلى التُّرب[١]، وهدد المكـاري[٢] بالشّنـق، والنّسـاء بالتّغريق؛ عند خـرق القوانين[٣]؛ وهو ما يشبه حظر التجول في الوقت الحاضر.

كذلك ابتلي النّاس بفقد الكثير من الأحبة والأهل خلال مدة وجيزة، وخلت البيوت من سكانها، وقد أورد المؤرخ ابن تغري بردي تجربة مريرة وقعت له تصوِّر حال العامة في هذا الطاعون، وفي ذلك يقول: "ومات من مماليك الوالد في يوم واحد أربعة من أعيان الخاصكية[٤]، وهم أزدمر الساقي، وملج السلاح دار، وبيبرس الخاصكي، ويوسف الرماح؛ مات الجميع في يوم واحد، فتحيرنا بمن نبدأ بتجهيزه ودفنه على اختلاف سُكناهم وقلة التوابيت والدكك،

---

١ - الترب: مكان دفن الموتى، أو المدفن الخاص الذي يعلوه طربال: وهو القبة العظيمة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٤٤.

٢ - المكاري: الشخص الذي يؤجر الدواب. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢١٩.

٣ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٩.

٤ - الخاصكية: مفرده الخاصكي، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٦٦.

وبالله لم أشهد منهم غير يوسف الرماح، وأرسلتُ لمن بقي غيري، مع أنّ كل واحد منهم أهل لنزول السلطان للصلاة عليه"[1].

كما أخبر ابن تغري بردي عن إصابات في أسرته بقوله: "ومات من إخوتي وأولادهم سبعة أنفس ما بين ذكور وإناث، وأعظمهم أخي إسماعيل، فإنه مات وسنه نحو العشرين سنة"[2].

وتصور هذه النّصوص السابقة عدد الوفيات في اليوم الواحد، بل وفي نطاق الأسرة الواحدة.

ومن جانب آخر أحدث الطاعون وانتشاره، ووفاة النّاس، ومناظر الجثث؛ وقعها في نفوس النّاس؛ فاستسلموا للموت، وهيئوا أنفسهم للمصير المحتوم، وكان الجميع ما بين موصٍ وتائب إلى الله، حتى انتشر بين الشباب استخدام السبحة، ودأبوا التوجه للصلوات الخمس مع بكاء وخشوع، وحضور الصلاة على الأموات[3]، يقول المقريزي: "وترى نعوش الموت في الشوارع كأنها قطارات الجمال؛ لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها في إثر بعض؛ فكان هذا من الأهوال التي أدركناها"[4].

ومن هنا يتضح أنّ العامل النفسي له دور كبير في مقاومة المرض والشفاء منه، أو الاستسلام له وانتظار الموت في أية لحظة؛ فتتأثر خلايا الجسم وأنسجته في مثل هذه الحالة وتكون أضعف وأقل مقاومة.

---

١ - النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٠.

٢ - المرجع السابق، ج١٤، ص٣٤٠.

٣ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٢.

٤ - السلوك، ج٧، ص٢٠٧ .

ولم يسلم المجتمع من تناقل الخرافات كما هي العادة عند ظهور ما يعجز الإنسان عن فهمه وتفسيره، كما ذُكر على لسان المقريزي: "وأما القاهرة فإنّه جرى على ألسنة غالب النّاس منذ أول العام أنّه يقع في الناس عظيم، حتى سمعت الأطفال تتحدث بهذا في الطرقات"[١].

وفي هذا المقام لعب **علماء الدين** دوراً في وعظ الناس، ودعوا العامة إلى الصيام ثلاثة أيام، والتوبة إلى الله ﷻ من معاصيهم، ثم حددوا موعداً للخروج إلى الصحراء؛ فخرج قاضي القضاة **علم الدين صالح البلقيني** (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)[٢] ومعه جموع من الناس إلى الصحراء خارج باب النصر[٣]، وجلس بجوار تربة السلطان الظاهر برقوق (ت٨٠١هـ

---

١ – المرجع السابق، ج٧، ص٢٠٤.

٢ – علم الدين البلقيني: صالح بن عمر بن رسلان بن نصر البلقيني الشافعي، نشأ في كنف والده، وكانت وفاته عام ٨٦٨هـ/١٤٦٣م. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد، **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م)، ص١٦٩.

٣ – باب النصر: هو أحد مخارج أبواب القاهرة الشرقية، قريب من مصلى العيد، ويخرج منه الحجاج. المقريزي، الخطط ، ج٢، ص١٠٠.

/١٣٩٩م)[١]؛ فوعظ الناس فكثر بكاء الرجال والنساء، وكثر تضرعهم إلى الله بالدعاء[٢].

وكذلك ظهر دور **أهل الخير والبر** في وقوفهم مع العامة في مواجهة هذا الوباء؛ فقد قام الناس نتيجة انتشار الكثير من الجثث بعمل توابيت للسبيل، وصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها، ولكن المصادر أغفلت تحديد هذه الفئة؛ هل هم من التجار الميسورين؟ أم كبار موظفي الدولة؟ أم غيرهم؟[٣].

أما فيما يخص **الأطباء** ودورهم خلال الأزمة، فقد جاء الحديث عنهم مقتضباً، ولم يشر ابن تغري بردي إلى أسمائهم في معرض حديثه عنهم أو عن أدوارهم، واقتصر حديثه على بيان جهودهم في معالجة المصابين داخل البيمارستان[٤]، والذين كانوا بأعداد كبيرة[٥].

ولم يمنع الطاعون وانتشاره من استمرار طقوس الجنائز والدفن حتى أنّ أبناء العبيد قد خرج أسيادهم للصلاة عليهم، وفي ذلك يقول ابن تغري بردي: "مات

---

١ – السلطان الظاهر برقوق: بن أنس بن عبد الله العثماني اليلبغاوي الجركسي، أول سلاطين الجراكسة تسلطن عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وتوفي عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م. الصيرفي، الخطيب الجوهر علي بن داود، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق: حسن حبشي (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م)، ص٣٤.

٢ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٨، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٨.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٠.

٤ – البيمارستانات: لفظ فارسي من لفظين: (بيمار: بمعنى مريض) و (ستان: بمعنى أرض) فهو مبنى لمعالجة المرضى وإقامتهم. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٤١.

٥ – النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٤ .

لشخص بخدمتنا يسمى شمس الدين الذهبي ولد فخرجنا معه إلى المصلى، وكان دون سبع سنين"[١].

ورغم استمرار هذه الطقوس إلا أنها اتبعت بطريقة تتناسب مع الأعداد الكبيرة التي أصيبت بهذا الطاعون؛ فقد خصصت الدولة أماكن في المصليات المشهورة للصلاة عليهم، منها: مصلى باب النصر، ومصلى المؤمني[٢] تحت القلعة، وقد كانت الصلاة جماعية؛ فيصلى على الأربعين والخمسين دفعة واحدة[٣]؛ مما أدى إلى تداخل الجثث مع بعضها، وعدم قدرة الأهالي على التمييز بين التوابيت[٤]. كما كان دفن هذه الأعداد الكبيرة من الجثث قائماً في الغالب على الأهل؛ فكانوا يحملون الجثث بأنفسهم إلى المقابر ويبيتون بها، والحفارون طول الليل يحفرون، وغالبًا ما يلجأون إلى الدفن الجماعي في حفرة واحدة كبيرة[٥].

---

١ – المرجع السابق، ج١٤، ص٣٤١.

٢ – مصلى المؤمني: أنشأ هذا المصلى الأمير سيف الدين بكتمر المؤمني عام ٧٥٦هـ/١٣٦٣م، وأنشأ معه سبيلاً يعرف بسبيل المؤمني. حاشية النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦١.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤١.

٤ – ابن تغري بردي، المرجع السابق، ج١٤، ص٣٤١.

٥ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٣.

وفي الوقت الحاضر ومع انتشار كوفيد ١٩ خصصت المملكة العربية السعودية بعض المقابر لاحتضان أجساد وفيات كورونا الذين يتم تغسيلهم في المستشفيات بإشراف وزارة الصحة بعد أن تم تأهيل عدد من مغسلي الموتى للتعامل السليم معهم وفقاً للإجراءات الاحترازية وخلافاً للإجراءات المتبعة في العصر المملوكي منعت حكومة المملكة العربية السعودية ذوي وفيات فيروس كورونا من تغسيل الميت أو التجمع حوله، وهو الأمر الذي ساهم –إلى حدٍّ ما– في منع انتشار الوباء.

وقد أكدت المصادر أنّ أعدادًا كبيرة من المماليك قضوا نحبهم في هذا الوباء؛ مما دفع معلمي اللعب بالرماح الذين -عادة ما يخرجون مع الحجاج- إلى تعليم من بقي من المماليك الذين لم يصلوا حتى إلى القدرة على مسك الرمح، ولكن الظروف اقتضت استخدامهم مع خروج المحمل[١].

ورغم هذه الأجواء المليئة بالخوف والفقد إلا أنّ شعائر الحج لم تعطل في هذا العام، ولا بد من الإشارة إلى أنّ الطاعون لم يتفش داخل الأراضي الحجازية في هذا الموسم، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى محاولة تقصي الأسباب التي ساهمت في ذلك، والتي تظهر في عدة عناصر، منها:

- انتهى الوباء بشكل مفاجئ في مصر في شهر رجب عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م؛ مما أعطى وقتًا كافيًا للتشافي التام قبل إقامة موسم الحج[٢].
- تأخر خروج محمل حج عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م إلى شهر شعبان، بينما جرت العادة خروجه في النصف من شهر رجب؛ مما أثر بشكل واضح في الحدّ من تنقله ووصوله إلى الأماكن المقدسة[٣].

---

١ - المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٠، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٤١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٥. والمحمل: هو الهودج على ظهر الجمل، وهو مصطلح أطلق في العهد المملوكي للدلالة على الكسوة المعدة للكعبة المشرفة المصنوعة في مصر، وقد كانت تحمل في شهر رجب من كل سنة وتطاف في القاهرة إيذاناً ببدء موسم السفر إلى الحجاز. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٣٦، حلاق، المعجم الجامع، ص٢٠١.

٢ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٨.

٣ - المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٥.

- خرج حجاج مصر بأعداد قليلة بسبب حزن الناس على موتاهم -كما ذكرت المصادر- وقد يكون ذلك أيضاً إجراء احترازيًّا، أو خوفاً من العدوى، كما لم تورد المصادر أخبارًا عن خروج حجاج من الشام؛ وقد يفسر ذلك بأنها كانت إجراءات احترازية للحد من انتشار المرض بين الناس(١).
- ونتيجة لانتشار الوباء وكثرة المصابين بدأت ظاهرة الاستغلال الاقتصادي، فضلاً عن انتشار الخرافة بين الأهالي فوقع غلاء شديد في منطقة الشام بمدينتي حلب ودمشق تحديداً(٢)، وتناقص السكر في الأسواق وارتفع سعره بشكل كبير؛ بسبب إقبال الناس عليه لاستخدامه كوصفة دوائية للتخفيف من المرض(٣).
- كما كان للسياسة الاحتكارية التي مارسها السلطان الأشرف برسباي تأثيرها السلبي على الحياة العامة حيث قام بإجبار التجار على شراء السكر بالقوة فاضطروا إلى إغلاق حوانيتهم خوفاً منه، مما أدى إلى عجز المرضى عن

---

١ - المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢١٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٥؛ الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٤٤٨.

٢ - المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٣، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٥.

٣ - الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٨٨ ، الشوامرة، نافذ محمد، **الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٥٠-١٥١٧**، (رسالة ماجستير، جامعة الخليل: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٧٣.

شراء السكر، والذي أشيع استخدامه كوصفة دوائية للطاعون كما تقدم سابقاً[1].

- كما تعطلت مظاهر الحياة الاقتصادية بمصر بشكل كامل؛ بسبب انشغال الناس بالمرضى والأموات، وارتفع الطلب على شراء الأكفان والنعوش، وارتفعت أسعار بعض السلع التي انتشر أنها تساعد على الشفاء من هذا المرض؛ مثل السكر وبذر الرجلة والكمثرى، وقد ساهم انتشار الخرافات في ارتفاع الطلب على هذه المنتجات، كذلك توقفت تجارة الملابس وخاصة الثوب البعلبكي[2].

ولم يقتصر تأثير الطاعون العظيم على البشر؛ **فقد تضررت الحيوانات** البحرية والبرية به، وتفشى بينهم خاصة في نيل مصر؛ بما يحويه من أسماك وتماسيح طفحت على وجه الماء ميتة، كذلك وُجد في البرية ما بين منطقة السويس والقاهرة أعداد كبيرة من الظباء والذئاب موتى[3].

كما لا يمكن بحال إغفال دور السلطة المملوكية في محاولتها التصدي للطاعون، والحدّ من انتشاره عن طريق عدة إجراءات متبعة حقق البعض منها فوائد تذكر، في حين أخف البعض الآخر؛ حتى أنها تشبثت بأي علاج أو حلٍّ حتى وإن كان خرافيًّا[4]؛ ففي محاولة للخروج من هذا المأزق جمع السلطان

١ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٥.

٢ – المقريزي، المرجع السابق ، ج٧، ص٢٠٦، ٢٠٧ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٩.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٩.

٤ – اللهيبي، فتحي سالم، والحديدي، فائز علي بخيت، **جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي "تفسير جديد"** (د.م، د.ن ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص١٤١.

الأشرف برسباي القضاة الأربعة[١] واستفتاهم وقال: "إن دام هذا الطاعون على النّاس خربت مصر"[٢]، واقترح عليهم أن يخرج مع الناس إلى الصحراء للتضرع إلى الله مثل الاستسقاء، فقالوا: "ما فعل هذا أحد من السلف"[٣]، ثم ذكّروا السلطان بضرورة منع المظالم، وأن يكثر الناس من الدعاء والاستغفار، ويبطل المكوس، حتى يرفع الله هذا البلاء، وبالفعل استجاب السلطان ونادى بالقاهرة أن يتوبوا من ذنوبهم، ويصوموا ثلاثة أيام متتالية، ويكثر الدعاء والتضرع إلى الله[٤].

ومن جانب آخر أشار بعض الأعاجم على السلطان أن يقوم بجمع سادات الأشراف ممن اسمه "محمد"، ويكون عددهم أربعين شريفاً، وأن يكونوا شرفاء من جهة الأب والأم؛ فيدعوا الله كما هي عادتهم في بلدانهم؛ فوافق السلطان على ذلك، وخرجوا ودعوا الله، ولكن هذا أمر لم ينتج عنه إلا كثرة الإصابات بسبب التجمعات -كما تقدمت الإشارة إليه-[٥].

---

١ - هم: قاضي القضاة الشافعي الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، وقاضي القضاة الحنفي بدر الدين محمود العنتابي، وقاضي القضاة المالكي شمس الدين محمد البساطي، وقاضي القضاة الحنبلي عزّ الدين عبد العزيز البغدادي. المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٦٨.

٢ - ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣١.

٣ - ابن إياس، المرجع السابق، ج٢، ص١٣١.

٤ - ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ج٣ ، ص٤٣٩ ، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣٢.

٥ - راجع ص ٩ من البحث. وانظر: ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٨، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣٢.

وعلى أيّة حال فقد قدمت السلطة المملوكية الكثير من الخدمات، منها: فتح البيمارستانات للمصابين، والتي قامت بدور كبير في معالجتهم، ويظهر أنّ أعداد الوفيات داخله كانت كبيرة[١]، كما عانوا من مشكلة علاج جميع هذه الأعداد من المرضى؛ إذ كان "القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية"[٢]؛ مما دفع الناس إلى البحث عن الطب البديل[٣].

ونتيجة لانتشار الوباء وتعطل الحياة الاقتصادية أمر السلطان برسباي القضاة والحجّاب[٤] ألّا يحبسوا أحداً على ديْن، واستمر ذلك إلى شوال عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م؛ مما يؤكد أنّ تأثير الوباء استمر عدة أشهر بعد انتهاءه[٥].

ومن أهم المشكلات التي واجهتها الدولة المملوكية في سبيل التصدي للطاعون، **قلة التوابيت**؛ فعلى الرغم من التسهيلات التي تقدمها البيمارستانات للعامة من علاج وتوفيرٍ للتوابيت إلا أنّ السلطة ظهر بها عجز واضح في توفيرها؛ مما أدى إلى تدخل أهل الخير في ذلك[٦]، وهذه المشكلة عانى منها أغلب فئات

١ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٤.

٢ – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٠.

٣ – المقريزي، السلوك ، ج٧ ، ص٢٠٦.

٤ – الحاجب: أطلق هذا اللفظ في الأصل على من يبلّغ أخبار الرعية إلى الحاكم أو السلطان ويأخذ لهم الإذن منه، والحاجب مراتب، منهم الحاجب، والحاجب الثاني، وحاجب الحجاب وهو رئيسهم. حلاق، المعجم الجامع، ص٧٢.

٥ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٣٩.

٦ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٦.

المجتمع؛ فقد مات بعض أمراء الألوف[1] بالقاهرة فلم يقدروا على شراء تابوت له، وأخذوا لهم من تابوت السبيل[2]، وكذلك الحال بالنّسبة للعامة، وفي ذلك يذكر ابن تغري بردي عن تجربة خاصة مرّ بها فيقول: "ماتت عندنا وصيفة مولدة بعد أن مرضت من ضحى النهار إلى أن ماتت قبل المغرب؛ فأصبحنا وقد عجز الخدم عن تحصيل تابوت لها؛ فتولت تغسيلها أمها وجماعة من العجائز وكفنوها في أفخر ثيابها على أحسن وجه، غير أننا لم نلق لها نعشاً...فوقفت على الباب والميتة محمولة على أيدي بعض الخدم إلى أن اجتازت بنا جنازة امرأة؛ فأنزلت التابوت غصباً ووضعتها عند الميتة "واشتلتا" على أعناق الرجال، وسارت أمها وبعض الخدم معها إلى أن قاربت التربة فأخذوها من التابوت ودفنوها"[3].

ووجد في العصر المملوكي **ديوان الطرحاء**: وهو من أشهر الأوقاف؛ مخصص لحصر وتسجيل أسماء من يموتون من الفقراء ويطرحون على الأرض[4]؛ أنشأه السلطان الظاهر بيبرس (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) واستمر بعده؛ وكان الهدف من إنشائه تغسيل فقراء المساكين وتكفينهم ودفنهم، ومن يدفن عن طريق هذا الديوان لا تشيع جنازته؛ لأنه يخرج غريباً بدون أهله كما وقع للوزير زين الدين يعقوب[5].

---

١ – أمراء الألوف: رتبة عسكرية يحملها أمير يرأس مائة فارس وألف جندي، وأصحاب هذه الرتبة هم من أكابر أرباب الوظائف والولاة والنواب. الحلاق، المعجم الجامع، ص٢٤.

٢ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٧.

٣ – النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٢.

٤ – أمين، محمد، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية**، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٠٠م)، ص ١٠٥.

٥ – المواعظ والاعتبار، ج٣، ص ٢٧٦.

كذلك حاولت السلطة المملوكية ضبط عدد الوفيات في ديوانها، وتناولت المصادر إحصائيات يومية، وإحصائيات عامة في تقدير أعدادهم، ورغم ذلك لم تتبع طريقة واضحة في إحصاء عدد الوفيات؛ فقد قدرت الوفيات اليومية – مثلًا– التي صُلي عليها بمصليات القاهرة وظواهرها ألفين ومائة، ولم يرد منها في أوراق الديوان غير قرابة أربعمائة[١].

كما قدّر المؤرخ المقريزي من مات في المحلة[٢] فقط بأكثر من خمسة آلاف نسمة[٣]، ومن خرج من أبواب القاهرة أكثر من ألفين ومائتي ميت، بالإضافة إلى الجثث التي خرجت من أهل الحسينية[٤]وحارة بولاق[٥]

١ – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٩.

Borsch, Stuart, Plague mortality in late medieval Cairo: Quantifying the plague outbreaks of 833/1460, Mamluk Studies Revise, University of Chicago, 2016.P118.

٢ – المحلة: مدينة مشهورة بمصر، وهي عدة مواضع منها محلة دقلا، وهي أكبرها وأشهرها وتقع بين القاهرة ودمياط. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٦٣.

٣ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٤.

٤ – الحسينية: واحدة من أشهر حارات القاهرة وأقدمها، وقد اختلف المؤرخون على أصل التسمية فذكر المقريزي: إن طائفة من عبيد الشراء تسمى بهذا الاسم سكنت هذه البقعة فسميت بهم، وقال في موضع آخر أنها تنسحب إلى جماعة من الأشراف الحسنيين الذين قدموا من الحجاز ونزلوا خارج باب النصر. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤١١؛ الطرابيلي، عباس، **احياء القاهرة المحروسة خطط الطرابيلي**،(د.م، الدار المصرية اللبنانية، د.ت)، ص٣٢٨ .

٥ – بولاق: من المدن القديمة، وهي من قرى الجيزة كانت تعرف بمنيه بولاق ثم عرفت ببولاق التكروري نسبة إلى الشيخ محمد يوسف التكروري الذي استقر بها علماء الحملة الفرنسية، ترجمة وتحقيق: زهير الشايب ومنى الشايب، **مدينة =القاهرة" الخطوط العربية على عمائر القاهرة**"(د.م، دار الشايب للنشر ، د.ت)، ص٩ .

والصليبة[١]والقرافتين [٢]والصحراء،[٣] ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين[٤]، وقدّرت الوفيات في المجمل بمائة ألف شخص[٥].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ ديوان المواريث لم يقم بإحصاء جميع حالات الوفيات خلال ظهور الطاعون العظيم، ويرجع ذلك لأسباب عدة، منها:

١) لم تهتم السلطة بإحصاء أعداد العبيد والجواري الذين أصابهم المرض وانتهى بهم المطاف جثثًا هامدة ليتولى أسيادهم البحث عن توابيت لهم ثم دفنهم، وكانوا بأعداد كبيرة جداً.

---

١ – الصليبة: يبدأ شارع الصليبة من قلب ميدان السيدة زينب وينتهي عند أعتاب قلعة صلاح الدين الأيوبي. أبو جليل، حمدي، **القاهرة شوارع وحكايات**،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ٢٠٠٨م)، ص٣٨٢- ٣٨٣.

٢ – القرافتين: عرفت القرافة بهذا الاسم نسبة إلى بني قرافة وهم بطن من بطون قبيلة المعافر اليمنية التي شهدت فتح مصر، وفي القاهرة قرافتان إحداهما القرافة الكبرى: تمتد من بركة الجبش في الجنوب إلى مصلى خولان في الشمال، ومن قناطر ابن طولون في الشرق إلى الرصد في الغرب، واستخدمت لدفن أموات المسلمين منذ فتحت أرض مصر. أما القرافة الصغرى فتقع على سفح جبل المقطم وتمتد فيما بين قلعة الجبل حتى الريدانية. الحداد، محمد حمزة، **الجبايات في العمارة الإسلامية " قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي**،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ص٤٢ ، ٣٧٤ –٣٧٥ .

٣ – الصحراء: تبدأ عند سفح القلعة من ناحية المقطم، وتمثل محجراً مترامي الأطراف، ولا يوجد بها آبار أو كهوف. مبارك، علي باشا، **الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**،(بولاق: المطبعة الكبرى، ١٣٠٤هـ)،ص١١٥ .

٤ – المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٦.

٥ – المقريزي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٠٧.

٢) تفشي المرض والموت بشكل كبير جعل الكثير من الناس يلجأون إلى الدفن السريع دون التفكير في تسجيل اسم المصاب والمتوفى.

٣) عناية السلطة بحصر أسماء الأعيان والطبقات الغنية من أجل الاستفادة من الإقطاعات[١] والميراث أسهم في إهمال باقي طبقات المجتمع، وقد ذكرت المصادر أنّ إقطاعاً بالحلقة انتقل في أيام قليلة إلى تسعة أشخاص؛ مما يؤكد الاهتمام بموضوع الإقطاع رغم الظروف الراهنة التي تمر بها الدولة[٢].

٤) اعتماد العامة على أنفسهم في توفير التوابيت ومواراة الجثث كان من الأسباب التي أسهمت في إهمال تسجيل أسماء أهاليهم في الديوان، وهو الأمر الذي أكده المقريزي بقوله: "وذلك أنّ أناساً عملوا التوابيت للسبيل؛ فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها ولا يوردون الديوان أسماءهم"[٣].

---

١ - الإقطاع: هو أن يقطع أو يمنح شخص ما أرضاً لا مالك لها مقابل الخراج أو العشور أو تمنح كأجرة أو معاش مقابل الخدمة. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢١.

٢ - المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٠٧ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٤ ، ص٣٣٩.

٣ - السلوك، ج٧، ص٢٠٦.

الخاتمة

أوضح البحث أنّ الطاعون العظيم كان من أهم الطواعين التي ظهرت في عهد المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) في سلطنة الأشرف برسباي، والذي انتشر بشكل سريع في عدة مدن في الشام ومصر، واستمر قرابة العام في بعض مدن الشام، وأربعة أشهر في مصر، وساعد على تفشيه الاختلاط المباشر بين النّاس، والذي ظهر جليًّا بعدد الإصابات داخل القلعة في القاهرة، وبين الجماعات المنتمية إلى مكان محدد وبقعة واحدة؛ كما وقع لمماليك السلطان الأشرف برسباي، كما كان اللمس أحد أهم أسباب انتشاره كما أظهرت الدراسة.

وقد فقدت الدولة أعدادًا كبيرةً من السكان من جميع فئات المجتمع من سلاطين مخلوعين وأبناء السلاطين وخلفاء عباسيين، والذي تفشى بينهم في المراحل الأخيرة من الوباء، والذي نقل إليهم في الغالب من فئة العبيد القائمين على خدمتهم، والذين عانوا من الوباء في بداية ظهوره مع الأطفال والغرباء.

ولمواجهة هذا الوباء حاولت السلطة المملوكية اتباع عدة إجراءات للحد من انتشاره، منها: فتح البيمارستانات للمصابين، وتقديم الدواء لهم، كما أصدرت أوامرها بعدم القبض على المحتاجين والفقراء، كما ساهمت السلطة في توفير المصليات الكبرى للصلاة الجماعية؛ فضلاً عن محاولتها حصر أعداد الوفيات وتسجيل أسمائهم، إلا أنها لم تصل إلى حلّ مُرضٍ في ذلك.

وقد برهنت الدراسة على سيطرة الفكر الديني في مواجهة هذا الوباء، وظهر جليًّا في لقاء السلطان الأشرف برسباي برجال الدين، وتنفيذ مقترحاتهم للحدّ من انتشار الطاعون.

كما تعطلت الحياة الاقتصادية بمصر بشكل كامل؛ بسبب انشغال الناس بالمرضى والأموات، وارتفع الطلب على شراء الأكفان والنعوش، وارتفعت أسعار بعض السلع التي انتشر أنها تساعد على الشفاء؛ مثل السكر وبذر الرجلة والكمثرى، وتوقفت تجارة بعض السلع وخاصة الثوب البعلبكي.

وأخيراً أغفلت المصادر ذكر إصابات ووفيات من مات وأصيب من الطبقات الدنيا؛ كالعبيد والجواري والغرباء، والتعريف بأسمائهم ووظائفهم، واكتفت بذكر تفشي الوباء بينهم بشكل كبير، كما أغفلت ذكر حالات التشافي من هذا الوباء، والطرق التي ساهمت في ذلك، وذكرت حالة واحدة فريدة عندما أصيب ابن السلطان الأشرف برسباي.

جدول يوضح الوفيات من أعيان المجتمع

	الاسم	وظيفته	السن	الشهر	المدينة
١	محمد تاج الدين بن العماد البطرني المغربي	نزيل دمشق	ــــــ	صفر	دمشق
٢	الشريف علي بن عنان بن مغامس	شريف	ــــــ	٣ جمادى الآخر	القاهرة
٣	بردبك السيفي	من مقدمي الألوف	كهلاً	١٠ جمادى الآخر	القاهرة
٤	يحيى ين الإمام شمس الدين الكرماني	تولى نظر البيمارستان	ــــــ	١٢جمادى الآخر	القاهرة
٥	إبراهيم بن ناصر الصقري	كان محتسباً في عهد المؤيد شيخ	ــــــ	١٨ جمادى الآخر	القاهرة
٦	الأمير محمد بن السلطان الناصر فرج	ابن سلطان	٢١ ربيعاً	٢١ جمادى الآخر	الإسكندرية
٧	الأمير محمد بن الأشرف برسباي	ابن سلطان	ناهز الاحتلام	٢٦ جمادى الأول	القاهرة
٨	الصالح محمد بن ططر	سلطان مخلوع		٢٧ جمادى الآخر	القاهرة
٩	الشريف شهاب الدين أحمد بن علي الحسني	قاضي وكاتب السر	٦٠ عاماً	٢٨ جمادى الآخر	القاهرة
١٠	الخليفة العباسي المستعين	خليفة عباسي	ــــــ	جمادى الآخر	الإسكندرية
١١	الشريف سرداح بن مقبل	أمير ينبع	ــــــ	آواخر جماد الآخر	القاهرة
١٢	الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ	سلطان مخلوع	صغير في السن	آواخر جمادى الأول	الإسكندرية
١٣	ياقوت الأغنشاوي الحبشي	مقدم المماليك السلطانية	ــــــ	٢ رجب	القاهرة

	الاسم	وظيفته	السن	الشهر	المدينة
١٤	الأمير يشبك	شقيق السلطان برسباي – من أمراء الألوف	ـــــ	٤ رجب	القاهرة
١٥	زين الدين خاتون ابنة المؤرخ ابن حجر	ابنه المؤرخ ابن حجر العسقلاني	٣٠ عاماً	ـــــ	القاهرة
١٦	خوند هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمي وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان بن قلاوون	ـــــ	ـــــ	٤ رجب	القاهرة
١٧	أحمد بن محمود بن محمد القصري (القيري) العجمي	تولى الحسبة ونظر الجيش	٥٦ عاماً	١٤ رجب	القاهرة
١٨	هابيل بن الأمير قرايلك	أمير	ـــــ	١٣ رجب	القاهرة
١٩	نصر الله بن عبد الرحمن بن أحمد العجمي الشافعي	صاحب علم ينسب إليه علم الحرف	ـــــ	١٦ رجب	القاهرة

***

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر:**

١. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/١٢٣٢م).

٢. بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، ط٤، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

٣. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

٤. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ).

٥. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ /١٤٦٩).

٦. النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٧. الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م).

٨. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٩. ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

١٠. إنباء الغمر بأنباء العمر، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١١. بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الرياض: دار العاصمة، د.ت.

١٢. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

١٣. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

١٤. معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، د.ت.

١٥. الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي (٦٦٦هـ/١٢٦٧).

١٦. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٧. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

١٨. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

٢٠. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٢١. ابن شاهين، زين الدين (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م).

٢٢. زبدة المماليك وبيان الطرق والمسالك، عنى بتصحيحه: بولس راويس، باريس: المطبعة الجمهورية، د.ت.

٢٣. نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢٤. الصيرفي، الخطيب الجوهر علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

٢٥. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.

٢٦. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

٢٧. شذرات الذهب بأخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.

٢٨. المقريزي، تقي الدين محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٢٩. درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه: محمود الجليلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٠. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣١. الخطط والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

٣٢. ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م).

٣٣. لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **المراجع:**

١. أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٠٠م.

٢. أبو جليل، حمدي، القاهرة شوارع وحكايات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ٢٠٠٨م.

٣. الحداد، محمد حمزة، الجبايات في العمارة الإسلامية " قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

٤. حلاق، حسان وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، بيروت: دار القلم للملايين، ١٩٩٩م.

٥. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦. الشرقاوي، مديحة، برسباي وسياسته الداخلية والخارجية، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧. الطرابيلي، عباس، احياء القاهرة المحروسة خطط الطرابيلي، د.م، الدار المصرية اللبنانية، د.ت.

٨. عاشور، عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.

٩. علماء الحملة الفرنسية، ترجمة وتحقيق: زهير الشايب ومنى الشايب، مدينة القاهرة" الخطوط العربية على عمائر القاهرة" د.م، دار الشايب للنشر، د.ت.

١٠. غوانمة، يوسف درويش، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، الأردن: دار الحياة، ١٩٨٢م.

١١. اللهيبي، فتحي سالم وفائز على بخيت الحديدي، جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي "تفسير جديد" د.م، د.ن، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
١٢. مبارك، علي باشا، الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، بولاق: المطبعة الكبرى، ١٣٠٤هـ.
١٣. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تركيا: المكتبة الإسلامية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- **الرسائل العلمية:**

١. الشوامرة، نافذ محمد، الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٥٠-١٥١٧، رسالة ماجستير، جامعة الخليل: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٢. قيسي، عائشة حسن ، عقوبة النفي والإبعاد في مصر والشام والحجاز خلال العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م.

- **المقالات:**

١. الطراونة، مبارك محمد، الأوبئة (الطواعين) وآثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨٢-١٥١٦م، الأردن: المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م٤، ع٣، ٢٠١٠م.
٢. غوانه، يوسف درويش، الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، جامعة دمشق: مجلة دراسات تاريخية، ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية:

Borsch, Stuart, Plague mortality in late medieval Cairo: Quantifying the plague outbreaks of 833/1460, Mamluk Studies Revise, University of Chicago, 2016.

***

qAŶmħ AlmSAdr wAlmrAjς

- AlmSAdr:

1. Abn ĂyAs ،mHmd bn ÂHmd (t930h١٢٣٢/-m).
2. bdAŶς Alzhwr fy wqAŶς Aldhwr ،HqqhA wktb lhA Almqdmħ wAlfhArs: mHmd mSTfŶ ،T4 ،AlqAhrħ: AlhyŶħ AlςAmħ llktAb١٤٠٣ ،h١٩٨٣/ -m.
3. Abn bTwTħ ،mHmd bn ςbd Allh AllwAty (t779h١٣٧٧/-m).
4. tHfħ AlnĎAr fy γrAŶb AlÂmSAr wςjAŶb AlÂsfAr ،tHqyq: ςly AlmntSr AlktAny (byrwt: mŵssħ AlrsAlħ١٣٩٩ ،h-).
5. Abn tγry brdy ،jmAl Aldyn Âbw AlmHAsn ywsf (t874h - ١٤٦٩/).
6. Alnjwm AlzAhrħ fy tAryx mSr wAlqAhrħ ،tHqyq: ĂbrAhym ςly TrxAn ،mrAjςħ: mHmd mSTfŶ zyAdħ ،AlqAhrħ : AlhyŶħ AlmSryħ AlςAmħ lltÂlyf wAlnŝr١٣٩١ ،h١٩٧١/-m.
7. Aljzyry ،ςbd AlqAdr bn mHmd (t 977h١٥٦٩/-m).
8. Aldrr AlfrAŶd AlmnĎmħ fy ÂxbAr AlHAj wTryq mkħ Almkrmħ ،tHqyq: mHmd Hsn ĂsmAςyl ،byrwt: dAr Alktb Alςlmyħ١٤٢٢ ،h٢٠٠٢/ -m.
9. Abn Hjr AlςsqlAny (t852h١٤٤٨/-m).
10. ĂnbA' Alγmr bÂnbA' Alςmr ،AlqAhrħ: Almjls AlÂςlŶ llŝŶwn AlĂslAmyħ١٤١٥ ،h١٩٩٤/-m.
11. bðl AlmAςwn fy fDl AlTAςwn ،tHqyq: ÂHmd ςSAm AlkAtb ، AlryAD: dAr AlςASmħ ،d.t.
12. rfς AlĂSr ςn qDAħ mSr ،tHqyq: ςly mHmd ςmr ،AlqAhrħ: mktbħ AlxAnjy١٤١٨ ،h١٩٨٨/-m.
13. AlHmwy ،yAqwt bn ςbd Allh (t 626h١٢٢٨/-m).
14. mςjm AlbldAn ،byrwt: dAr Alfkr ،d.t.
15. AlrAzy ،mHmd bn Âby bkr AlrAzy (666h١٢٦٧/-).
16. mxtAr AlSHAH ،tHqyq: mHmwd xATr ،byrwt: mktbħ lbnAn ، ١٤١٥h١٩٩٥/-m.

17. AlsxAwy ،ŝms Aldyn mHmd bn ςbd AlrHmn(t 902h١٤٩٦ /-m).
18. AlDw' AllAmς lÂhl Alqrn AltAsς ،DbTh wSHHh: ςbd AllTyf Hsn ςbd AlrHmn ،byrwt: dAr Alktb Alςlmyħ١٤٢٤ ،h٢٠٠٣/-m.
19. AlsywTy ،jlAl Aldyn ςbd AlrHmn (t 911h١٥٠٥/-m).
20. Hsn AlmHADrħ fy ÂxbAr mSr wAlqAhrħ ،tHqyq: mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym ،AlqAhrħ: dAr ĂHyA' Alktb Alςrbyħ ، ١٣٨٧h١٩٦٨/-m.
21. Abn ŝAhyn ،zyn Aldyn (t920h١٥١٤/-m).
22. zbdħ AlmmAlyk wbyAn AlTrq wAlmsAlk ،ςnŶ btSHyHh: bwls rAwys ،bArys: AlmTbςħ Aljmhwryħ ،d.t.
23. nyl AlÂml fy ðyl Aldwl ،tHqyq: ςmr ςbd AlslAm tdmry ،byrwt: Almktbħ AlςSryħ١٤٢٢ ،h٢٠٠٢/-m.
24. AlSyrfy ،AlxTyb Aljwhr ςly bn dAwd (t 900h١٤٩٤/-m).
25. nzhħ Alnfws wAlÂbdAn fy twAryx AlzmAn ،tHqyq: Hsn Hbŝy ،AlqAhrħ: mTbςħ dAr Alktb١٩٧٠ ،m.
26. Abn AlςmAd ،ςbd AlHy bn ÂHmd AlHnbly (t1089h١٦٧٨/-m).
27. ŝðrAt Alðhb bÂxbAr mn ðhb ،tHqyq: ςbd AlqAdr AlÂrnAŵwT ،dmŝq: dAr Abn kθyr١٤٠٦ ،h-.
28. Almqryzy ،tqy Aldyn mHmd (t845h١٤٤١/-m).
29. drr Alςqwd Alfrydħ fy trAjm AlÂςyAn Almfydħ ،Hqqh wςlq ςlyh: mHmwd Aljlyly ،byrwt: dAr Alγrb AlĂslAmy ، ١٤٢٣h٢٠٠٢/-m.
30. Alslwk lmςrfħ dwl Almlwk ،tHqyq: mHmd ςbd AlqAdr ςTA ، byrwt: dAr Alktb Alςlmyħ١٤١٨ ،h١٩٩٧/-m.
31. AlxTT wAlAςtbAr bðkr AlxTT wAlĀθAr Almςrwf bAlxTT Almqryzyħ ،tHqyq: mHmd zynhm wmdyHħ Alŝrqawy ، AlqAhrħ: mktbħ mdbwly١٩٩٨ ،m.
32. Abn mnĎwr ،mHmd bn mkrm AlmSry (t 711h١٣١١/-m).
33. lsAn Alςrb ،tHqyq: Âmyn mHmd ςbd AlwhAb wĀxrwn ، byrwt: dAr ĂHyA' AltrAθ Alςrby١٤١٧ ،h١٩٩٧/-m.

- AlmrAjς:

1. Âmyn ،mHmd mHmd ،AlÂwqAf wAlHyAħ AlAjtmAςyħ fy mSr drAsħ tAryxyħ wθAŶqyħ ،AlqAhrħ: dAr Alktb wAlwθAŶq Alqwmyħ١٤٠٠ ،m.

2. Âbw jlyl ،Hmdy ،AlqAhrħ ŝwArç wHkAyAt ،AlqAhrħ: AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktb٢٠٠٨ ،m.
3. AlHdAd ،mHmd Hmzħ ،AljbAyAt fy AlçmArħ AlǍslAmyħ " qrAfħ AlqAhrħ mn AlftH AlǍslAmy ǍlŶ nhAyħ AlçSr Almmlwky ،AlqAhrħ: mktbħ AlθqAfħ Aldynyħ ،d.t.
4. HlAq ،HsAn wçbAs SbAγ ،Almçjm AljAmç fy AlmSTlHAt AlÂywbyħ wAlmmlwkyħ wAlçθmAnyħ ðAt AlÂSwl Alçrbyħ wAlfArsyħ wAltrkyħ ،byrwt: dAr Alqlm llmlAyn١٩٩٩ ،m.
5. dhmAn ،mHmd ÂHmd ،mçjm AlÂlfAĎ AltAryxyħ fy AlçSr Almmlwky ،byrwt: dAr Alfkr AlmçASr١٤١٠ ،h١٩٩٠/m.
6. AlŝrqAwy ،mdyHħ ،brsbAy wsyAstAh AldAxlyħ wAlxArjyħ ، AlqAhrħ: AldAr AlθqAfyħ llnŝr١٤٢٩ ،h٢٠٠٨/m.
7. AlTrAbyly ،çbAs ،AHyA' AlqAhrħ AlmHrwsħ xTT AlTrAbyly ، d.m ،AldAr AlmSryħ AllbnAnyħ ،d.t.
8. çAŝwr ،çbd AlftAH çAŝwr ،mSr wAlŝAm fy çSr AlÂywbyyn wAlmmAlyk ،byrwt: dAr AlnhDħ Alçrbyħ ،d.t.
9. çlmA' AlHmlħ Alfrnsyħ ،trjmħ wtHqyq: zhyr AlŝAyb wmnŶ AlŝAyb ،mdynħ AlqAhrħ" AlxTwT Alçrbyħ çlŶ çmAŶr AlqAhrħ" d.m ،dAr AlŝAyb llnŝr ،d.t.
10. γwAnmħ ،ywsf drwyŝ ،tAryx byt Almqds fy AlçSr Almmlwky ، AlÂrdn: dAr AlHyAħ١٩٨٢ ،m.
11. Allhyby ،ftHy sAlm wfAŶz çlŶ bxyt AlHdydy ،jwAnb mn AlHyAħ AlsyAsyħ wAlAqtSAdyħ wAlAjtmAçyħ fy AlçSr Almmlwky "tfsyr jdyd" d.m ،d.n١٤٣٥ ،h٢٠١٤/m.
12. mbArk ،çly bAŝA ،AlxTT Aljdydħ lmSr AlqAhrħ wmdnhA wblAdhA Alqdymħ wAlŝhyrħ ،bwlAq: AlmTbçħ AlkbrŶ ، ١٣٠٤h..
13. mSTfŶ ،ǍbrAhym wĀxrwn ،Almçjm AlwsyT ،trkyA: Almktbħ AlǍslAmyħ١٣٩٢ ،h١٩٧٢/m.

• AlrsAŶl Alςlmyħ:
1. Alŝ wAmrħ ،nAfð mHmd ،AlkwArθ AlTbyςyħ wĀθArhA fy blAd AlŝAm fy AlςSr Almmlwky 648-922h ،١٥١٧-١٢٥٠/rsAlħ mAjstyr ،jAmςħ Alxlyl: klyħ AldrAsAt AlςlyA wAlbHθ Alςlmy ، ١٤٣٣h٢٠١٢/m.
2. qys.y ،ςAŶŝħ Hsn ،ςqwbħ Alnfy wAlĂbςAd fy mSr wAlŝAm wAlHjAz xlAl AlςSr Almmlwky ،rsAlħ dktwrAh ،jAmςħ Almlk ςbd Alςzyz١٤٤٢ ،h٢٠٢٠/m.

• AlmqAlAt:
1. AlTrAwnħ ،mbArk mHmd ،AlÂwbŶħ (AlTwAςyn) wĀθArhA AlAjtmAςyħ fy blAd AlŝAm fy ςSr AlmmAlyk AljrAksħ 784-922h١٥١٦-١٣٨٢/m ،AlÂrdn: Almjlħ AlÂrdnyħ lltAryx wAlĀθAr ،m4 ،ς3٢٠١٠ ،m.
2. γwAnh ،ywsf drwyŝ ،AlTAςwn wAljfAf wÂθrhmA ςlŶ AlbyŶħ fy jnwb AlŝAm (AlÂrdn wflsTyn) fy AlςSr Almmlwky ،jAmςħ dmŝq: mjlħ drAsAt tAryxyħ١٩٨٣ ،m.

***